

الإمام الجواد (عليه السلام).. مواظب نورانية وآداب إلهية



أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هم أئمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، والإمام الجواد (عليه السلام) تاسع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذي اضاءت الدنيا بعلمه وبفضائله وكمالاته. كلمات من نور الهداية تبرز أصالة الخلق الإسلامي والوعي الرسالي، تلك هي أحاديث الإمام الجواد (عليه السلام) التي أوصى بها الناس، وحثهم على الالتزام بها عملاً وسلوكاً. فمن جملة ما قاله (عليه السلام): «كيف يضع مَن آكله، وكيف ينجو مَن آكله، ومَن انقطع عنه، وكلمه آكله إليه، ومَن عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلاح، مَن أطاع هواه أعطى عدوه منا». إنَّه (عليه السلام) يتعجب من تصورات بعض النماذج من الناس، فهناك الذي يوحى لنفسه بالضياح والحيرة والتمزق في عملية سقوط أمام احتمالات الحاضر والمستقبل، فيتعجب كيف يضع وهو المخلوق الذي كفه آكله في رزقه وفي كل تفاصيل حياته في نطاق النظام الذي أودعه آكله في السنن الكونية والتاريخية. إنَّ المؤمن لا يشعر بالضياح، بل الكافر هو الذي يشعر بالضياح، لأنَّ المؤمن الذي يؤمن بأنَّ الكون في رعاية آكله لا يفكر بالضياح. وهناك الذي يهرب من ربه ويشعر بأنَّه قادر على النجاة منه بفعل ما يملكه من القوة من خلال الوسائل المتجمعة عنده، ولكنَّه لا يفكر بأنَّ آكله المهيمن على الكون كلاً في الحاضر والمستقبل لا يفلت منه أحد ولا ينجو منه مطلوب. وهناك الذي يكل أمره إلى آكله وينقطع إليه ويقطع أمله من كل مَن عداه، فإنَّ آكله يكله إليه، فهو حسبه وبه الكفاية وعليه التكلان. وهناك الذي ينطلق إلى العمل من دون تخطيط لخطوطه ومفرداته ومراحله على أساس العلم الذي يفتح عليه، فإنَّه سوف يتعرض للفساد بفعل حالة التخطي في السير على غير هدى أو كتاب منير، لأنَّ الجهل سوف يقود صاحبه إلى ما يفسده وهو يفكر أنَّه يصلحه، فتكون نتائج الفساد عنده أكثر من نتائج الصلاح.

وفي قوله أيضاً (عليه السلام): «لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر هواه وشهوته على دينه». إنَّ على المؤمن أن يعي حقيقة دينه في طبيعته من حيث انطلاقه من قاعدة الحقيقة التي تحكم الحياة كلاً والوجود كلاً، ومن حيث أثره في تركيز موقف الإنسان على أرض صلبة لا اهتزاز فيها، ومن حيث نتائجه في النجاة من عذاب آكله في يوم القيامة.. وعلى هذا الأساس، فلا بد له من أن يختار السير على الخط الديني في العقيدة وفي الشريعة وفي المنهج وفي الحركة، لأنَّه الخط المستقيم الذي يحصل به الإنسان على رضا آكله والقرب إليه، وأن لا يطيع شهوته في

حركة غرائزه في نقاط ضعفها، فإن الشهوة لا تخضع لقاعدة ولا تتحرك في خطة ولا تنسجم مع الاستقامة، بل إنَّها تهتز بالإنسان في كلِّ مواقعه، ولا تثبت به على أساس متين، وتؤدِّي به في النهاية إلى الهلاك الدنيوي والأخروي عندما تتغلَّب عليه وتصادر التزامه الديني وتتحرك به مع الأهواء ليضيع في مآهات الحياة فيسير على غير هدى، أمَّا الثابتون على دينهم الذين ينظرون بعين البصيرة إلى عمق الشهوات في نتائجها السلبية، فهم الناجون عند الله، الكاملون في إيمانهم.

وفي قوله (عليه السلام): «إيَّاك ومصاحبة الشرير، فإنَّه كالسيف المسلول، يَحسُن منظره ويقبح أثره». إنَّ مسألة اختيار صاحب اليد أن تخضع لدراسة دقيقة في المواصفات التي يتمتع بها في أخلاقياته الاجتماعية، من حيث إنَّه يحبُّ الخير أو يتبنى الشر، أو أنَّه يركز على قاعدة الحقِّ أو يتحرك في خطِّ الباطل، أو أنَّه ينفذ على العدل أو ينطلق في مواقع الظلم، ليختار الخير لا الشرير، والمحق لا المبطل، والعاقل لا الظالم، لأنَّ للصاحب تأثيراً نفسياً وروحياً وأخلاقياً على صاحبه بفعل العلاقة الحميمة التي تجعله ينجذب إليه فيتأثر به لا شعورياً، لأنَّ للعاطفة دورها في المؤثرات الذاتية على الإنسان الآخر الذي يرتبط به الإنسان ارتباطاً وثيقاً.